

﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ
لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 63]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا كَانَ قَوْلُ قَوْمِ نوحٍ ﷺ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يَتَضَمَّنُ اسْتِبْعَادَهُمْ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ خَوْفِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ بَعَادَتِهِ وَحَدُّهُ وَرَفَضَ آلِهَتَهُمْ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ⁽¹⁾، وَكَانَ "الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى هَذَا مَجَرَّدُ اسْتِبْعَادِ أَنْ يَخْتَصَّ عَنْهُمْ بِفَضِيلَةٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ كَمَا سَيَأْتِي فِي غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، أَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾"⁽²⁾، فَبَعْدَ أَنْ أَجَابَهُمْ بِمَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ الضَّلَالِ، وَبَيَّنَّ الرِّسَالَةَ؛ انْتَقَلَ إِلَى "كَشْفِ الْخَطَأِ فِي شَبْهَتِهِمْ، فَعَطَفَ عَلَى كَلَامِهِ قَوْلَهُ: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾"⁽³⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾: (عجب) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى كِبَرٍ وَاسْتِكْبَارٍ لِلشَّيْءِ، وَهُوَ أَنْ يَتَكَبَّرَ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ، تَقُولُ: هُوَ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ، وَأَمْرٌ عَجِيبٌ؛ إِذَا اسْتَكْبَرَ وَاسْتَعْظَمَ، وَالْعَجِيبُ: الْأَمْرُ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ، وَالْعَجَبُ وَالتَّعَجُّبُ: حَالَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ الْجَهْلِ بِسَبَبِ الشَّيْءِ، وَهُوَ إِنْكَارٌ مَا يَرِدُ لِقَلَّةِ اعْتْيَادِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْعَجَبُ مَا لَا يُعْرِفُ سَبَبَهُ، وَلِهَذَا قِيلَ: لَا يَصِحُّ عَلَى اللَّهِ التَّعَجُّبُ، إِذْ هُوَ عَلَامٌ الْغُيُوبِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ⁽⁴⁾.

(1) أبو حيان، البحر المحیط: 5/84.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/430.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 8/195.

(4) الجوهري، الصَّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاغِب، للفردات، وابن منظور، اللسان: (عجب).

التَّنبِيْهُ عَلَى
سَبَبِ الْإِنْكَارِ
بَعْدَ بَيَانِهِ، أَوْقَعُ
أَثَرًا وَأَزْسَحُ خَبْرًا

(2) ﴿ذِكْرٌ﴾: (ذكر) أصلُ الذكر خلافُ النسيان، والذِّكْرُ: الشَّيْءُ يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ، الذِّكْرُ: تارةً يقالُ، ويرادُ به هيئةُ للنفسِ، بها يمكنُ للإنسان أن يحفظَ ما يقتنيه من المعرفة، وتارةً يقالُ لحضور الشَّيْءِ فِي الْقَلْبِ أو الْقَوْلِ، ولذلك قيل: الذِّكْرُ ذِكْرَان: ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللسان، وكلُّ واحدٍ منهما ضربان: ذكرٌ عن نسيانٍ، وذكرٌ لا عن نسيانٍ بل عن إدامةِ الحفظِ، وكلُّ قولٍ يقالُ له: ذِكْرٌ، فمن الذِّكْرِ باللسان، مثل قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾⁽¹⁾. وقوله جلَّ شأنه: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: موعظةٌ من الله، وهو الوحيُّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ، كما قيل للقرآن: ذِكْرٌ⁽²⁾، وسُمِّيَ الْوَحْيُ: ذِكْرًا؛ لِأَنَّهُ يَذْكُرُ النَّاسَ بِرَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

(3) ﴿رَجُلٍ﴾: (رجل) أصلٌ يدلُّ على العُضْوِ الَّذِي هُوَ رِجْلُ كُلِّ ذِي رِجْلٍ، الرَّجُلُ: الذِّكْرُ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ خِلَافَ الْمَرْأَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ رَجُلًا فَوْقَ الْغَلَامِ، وذلك؛ إِذَا احْتَلَمَ وَشَبَّ⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾ "أي: على لسان رجلٍ منكم"⁽⁴⁾.

(4) ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: (نذر) كلمةٌ تدلُّ على تخويفٍ، ومنه الإنذارُ الَّذِي يَعْنِي: الْإِبْلَاجَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّخْوِيفِ، فهو: إخبارٌ فِيهِ تَخْوِيفٌ، كما أَنَّ التَّبَشِيرَ إخبارٌ فِيهِ سُرُورٌ⁽⁵⁾.

(5) ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾: (وقى) أصلٌ يدلُّ على دفعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغيره، والوقايةُ: ما يَبْقَى الشَّيْءُ، وَاتَّقِ اللَّهَ: أَي: اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوَقَايَةِ، وَاتَّقَيْتُ الشَّيْءَ: حَذَرْتُهُ، وَالْإِسْمُ التَّقْوَى، وَالتَّقْوَى جَعَلَ النَّفْسَ فِي وَقَايَةٍ مِّمَّا يَخَافُ، وَفِي تَعَارُفِ الشَّرْعِ: حَفِظَ النَّفْسَ عَمَّا يُؤْثِمُ، وَذَلِكَ بِتَرْكِ الْمَحْظُورِ⁽⁶⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يخبر الله تعالى عن نوحٍ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ مَنْكَرًا شَبَّهْتَهُمْ: أَكْذَبْتُمْ، وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ يَذْكُرْكُمْ، وَوَعِظُ مَنْ رَبِّكُمْ، عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، لِيَحْذَرَنَّكُمْ عَاقِبَةُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، وابن منظور، اللسان: (ذكر).

(2) الواحدي، البسيط: 9/199، والفخر الزَّازَنِي، مفاتيح الغيب: 14/298، والألوسي، روح المعاني: 4/391.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، وابن منظور، اللسان: (رجل).

(4) الفخر الزَّازَنِي، مفاتيح الغيب: 14/298.

(5) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات: (نذر).

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، المفردات، والفيروزآبادي، البصائر: (وقى).

تَعْجَبُ النَّاسُ
مِنْ مُنْذِرٍ مِنْهُمْ،
يَكُونُ بِسَبَبِ
بَاطِلٍ مُسْتَحْوِذٍ،
أَوْ طَغْيَانٍ مُطْبِقٍ

تَوْبِيخٌ لِلتَّعْجِبِينَ
مِنَ الْحَقِّ، عِزَّةٌ
لِصَّاحِبِ أَهْلِ
الْحَقِّ

من روعة البيان
في الحذف، ترك
الأمر ليتصوّر
المخاطب

ويعدكم بالتّقوى لرحمته تعالى التي ينزلها على المؤمنين، ويوجد فيكم التّقوى بسبب الإنذار، ولتّرحموا بذلك، وليس هذا بعجب أن يوحى الله إلى رجل من جنسكم، رحمة بكم، ولطفًا وإحسانًا إليكم، لينذركم، ولتتّقوه، وليرحمكم بطاعته والإيمان برسوله⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

عَرَضُ الاستِفهام، في قوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾:

ابتدأت الآية بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ توبيخًا لتعجبهم، فالهمزة "لإنكار والتوبيخ، أي: هذا مما لا يعجب منه؛ إذ له تعالى التصرف التام بإرسال من يشاء لمن يشاء"⁽²⁾، فأنكر التعجب من إرسال الرسل، وإنما عبّر عن ذلك بالاستفهام الإنكاريّ دون الإخبار، فلم يقل: (لا عجب) إشارة إلى يقينهم بأنّه ضالّ، كما عبّر عنه قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فهم يرون بطلان دعوته، فأنكر ذلك عليهم.

بلاغة حذف المعطوف عليه، في قوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معطوف على مقدّر، كأنه قيل: "أستبعدتم، وعجبتُم من أن جاءكم ذكرٌ، - أي: وحي أو موعظة - من مالك أموركم ومربيكم؟"⁽³⁾، أو يقدر: أكذبتم وعجبتُم⁽⁴⁾؟ فيتسلط الإنكار على التّكذيب والتّعجب معًا، وتظهر بلاغة عدم التّصريح بالمعطوف عليه في ترك الأمر للمخاطب، فأسباب العجب وإن اتّحدت في الغاية، لكنّ أسبابها التّفصيليّة متنوّعة.

(1) الزحيلي، النبر: 8/255.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 5/84.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.

(4) الزمخشري، الكشاف: 2/115.

بلادة الكناية باستعمال الفعل ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾:

جاء التعجب في قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على لسان نوح وهود - ﷺ - متسلطاً عليه الاستفهام؛ لأنه "كناية عن الإنكار، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: 73]، أنكروا عليها أنها عدت ولادتها ولداً - وهي عجوز - محالاً⁽¹⁾، وهذا الأسلوب يدل على أن العجب المذكور قد وقع على وجه الاستبعاد والاستحالة⁽²⁾.

التعجب لا
ينكر لذاته،
ولكن لصدوره
عن اعتقادهم
بالاستحالة

سير استعمال المصدر المؤول، في قوله: ﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾:

جاء التعبير عن المتعجب منه بالمصدر المؤول من الحرف والفعل دون المصدر الصريح في قوله تعالى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ﴾؛ فلم يقل: (أعجبتم من مجيئكم الذكر من ربكم؟)؛ للدلالة على زمن حدوث المجيء، وهذا يدل على أن المجيء قد حدث في الزمن الماضي، فهو مجيء مقطوع به، فيكون تعجبهم من شيء قد حدث ووقع، ولو عبر بالمصدر الصريح لما كان فيه دلالة قاطعة على حدوثه، بالإضافة إلى أن التعبير بالمصدر المؤول أوجز لفظاً من المصدر الصريح.

لفت الأنظار إلى
أن التعجب،
وقع على أمر قد
وقع وتحقق

بلادة المجاز العقلي في قوله: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:

أسند المجيء إلى الذكر في قوله تعالى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾، فلم يقل: (جتكم بذكر من ربكم) تشخيصة للذكر، وفي ذلك مبالغة في الاهتمام به وتفخيم شأنه؛ لأن تجسيد المعاني وتصويرها أقوى أثراً في الفهم والعلم.

تصوير المعاني
أبلغ في فهم
مقصودها،
وأدل على
استجلاء
مكنونها

سير تنكير لفظ ﴿ذِكْرٌ﴾:

في قوله تعالى ذكره: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/195.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/416.

كُفِّرْهُمْ عَرِيقًا
رَاسِخًا، مُتَّجِهَةً
إِلَى أَصْلِ الْوُحْيِ

الذِّكْرُ النَّازِلُ مِنْ
رَبِّكُمْ، عَظِيمُ
الشَّأْنِ؛ لِأَنَّهُ
حَبْلُ الْوَصْلِ
بِالرَّحْمَنِ

إِنْزَالُ الْوُحْيِ
لِلْعِبَادِ، مِنْ
مُقْتَضِيَاتِ
الرُّبُوبِيَّةِ
الْمُتَفَضِّلَةِ
بِالْإِمْدَادِ

الْإِمْتِنَانُ بِعَيْنَايَةِ
اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ
لْأَحْوَالِهِمْ،
وَعَدَمُ نَبْذِهِمْ
وِإِهْمَالِهِمْ

آثَرَ أَنْ يَأْتِيَ لَفْظُ (الذِّكْرُ) بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَصَالَةِ كُفْرِهِمْ وَرُسُوخِهِ؛ إِذْ هُمْ رَفَضُوا الْوَحْيَ عَمُومًا، وَلَيْسَ بِكَوْنِهِ ذِكْرًا مَعِيْنًا، فَلَوْ قَالَ: (أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ الذِّكْرُ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ)؛ لَدَلَّ عَلَى أَنَّ تَعْجِبُهُمْ مِنْ كَوْنِ هَذَا الذِّكْرِ الْمَخْصُوصِ جَاءَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَوْ جَاءَ عَلَى رَجُلٍ لَيْسَ مِنْهُمْ أَوْ عَلَى مَلَكٍ لَمْ يَكُونُوا فِي تَعْجِبٍ، وَعِنْدَيْدِ لَنْ يَكُونُوا رَافِضِينَ لِلْوَحْيِ عَمُومًا، بَلْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ عَلَى الْخُصُوصِ، فَلَمَّا جَاءَ بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ؛ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يَرَفُضُونَ الذِّكْرَ أَصَالَةً، إِشَارَةً إِلَى رُسُوخِ كُفْرِهِمْ.

فَائِدَةٌ تَقْيِيدُ الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾:

قِيْدَ مَجِيءُ الذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾، وَفِي ذَلِكَ تَفْخِيمٌ لِّشَأْنِ الذِّكْرِ، فَ (مِنْ) لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ، وَهَذَا الْمَحْذُوفُ هُوَ صِفَةُ لِلذِّكْرِ، قَدَرَهُ بَعْضُهُمْ: ذِكْرٌ كَائِنٌ مِنْ رَبِّكُمْ⁽¹⁾، وَالْأَوْفَقُ أَنْ يَكُونَ بِتَقْدِيرِ سِيَاقِي خَاصٍّ، وَهُوَ: ذِكْرٌ نَازِلٌ مِنْ رَبِّكُمْ.

بَلَاغَةُ ذِكْرِ الرُّبُوبِيَّةِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آثَرَ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الرُّبُوبِيَّةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الذِّكْرَ جَاءَ مِنْ مَالِكِ أُمُورِكُمْ وَمُرَبِّيكُمْ⁽²⁾، وَالتَّعْبِيرُ بِلَفْظِ الرُّبُوبِيَّةِ أُنْسَبُ فِي سِيَاقِ مَا فِيهِ خَيْرٌ لِلْعِبَادِ وَرِعَايَةِ مَصَالِحِهِمْ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِمْ.

غَرَضُ إِضَافَةِ لَفْظِ (الرَّبِّ) إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكُمْ﴾:

أَضَافَ لَفْظُ الرَّبِّ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وَهُمْ قَوْمُهُ، "أَيُّ: الْمُحْسِنُ إِلَيْكُمْ بِالْإِيجَادِ وَالتَّرْبِيَةِ"⁽³⁾، وَذَلِكَ تَذَكِيرًا لَهُمْ بِأَنَّ الرِّسَالَةَ جَاءَتْهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ،

(1) الألويسي، روح اللعاني: 4/391.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/430.

فهو القائم بمصالح عباده وما فيه خيرٌ لهم، وفيه لطفٌ بخطابهم إيقاظاً لهم، وتنبيهٌ لهم بأنَّ الرَّبَّ الذي يعرفونه هو الَّذي أرسلني إليكم، وامتنانٌ بالرَّعاية والعناية أن يُرسلَ إليهم رسولاً يوقظهم من غفلتهم.

بلادة الالتفات من التَّكَلُّمِ إلى الغَيْبَةِ:

في الآية السَّابِقَةِ جاءَ الخطابُ على طريقِ التَّكَلُّمِ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، والتفتَ الخطابُ في هذه الآية للخطاب في قوله تعالى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ فلم يقل: (عليَّ لأنذركم)، فالرجل الذي منهم هو النَّبِيُّ ﷺ، فعدَلَ عن إضمارِ ذكرِهِ إلى التَّصريح بالمدكور؛ لأنَّه ضَمَّنَ هذا الظَّاهر الصِّفَةَ الَّتِي أنكروها، وهي كونه رجلاً منهم.

عَرَضُ اسْتِعْمَالِ حَرْفِ الاسْتِعْلَاءِ ﴿عَلَى﴾:

في قوله تعالى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ عبَّرَ بحرفِ الاستعلاء بعد الفعلِ (جاء) للدَّلالةِ على أنَّ المرادَ من المجيءِ النُّزُولُ، فـ "معنى (على) من قوله: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾ يشعر بأنَّ (جاءكم) ضُمِّنَ معنى نزل" (1)، أي: إنَّ معنى جاءكم: نزلَ عليكم (2)؛ لأنَّ "كلَّ ما يأتي من الله تعالى، فله حكمُ النُّزُولِ، فكأنَّ ﴿جَاءَكُمْ﴾ معناه: نزلَ، فحسُنَ معه أن يقال: ﴿عَلَى رَجُلٍ﴾" (3).

وذهبَ بعضُ أئمَّةِ التَّفْسِيرِ إلى أنَّ قولَه: ﴿عَلَى رَجُلٍ﴾ معناه على لسانِ رجلٍ، فحذفَ المضافَ إليه، وبعضُهم قال: إنَّ ﴿عَلَى﴾ بمعنى: مع، أي: مع رجلٍ، والأرجحُ أنَّه لا حاجةَ إلى تقديرٍ محذوف، ولا تضمينِ حرفِ (مع)؛ لأنَّ المعنى: أنزلَ إليكم ذِكْرٌ على رجلٍ، وهذا

يُظهِرُ أَسْلُوبَ
الِاتِّفَاتِ، مَا
يُرِيدُ النَّصُّ بَيَانَهُ
وَالْعِنَايَةَ بِهِ

تَضْمِينُ فِعْلِ
(جاءكم) مَعْنَى
(نزل)

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/196.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 5/84.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 2/410.

أَوَّلَى؛ لِأَنَّ تَضْمِينَ فِعْلٍ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ أَحْسَنُ مِنْ جَعْلِ الْحَرْفِ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى حَرْفٍ آخَرَ⁽¹⁾.

عَزُضُ التَّعْبِيرِ بِالرُّجُولَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾:

التَّعْرِيزُ بِمَنْ
لَا يَتَلَقَّى الْعِلْمَ
عَنِ الرِّجَالِ،
بأنَّه لَيْسَ مِنْهُمْ

أَثَرٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾ أَنْ يَعْبُرَ بِصِفَةِ الرُّجُولَةِ، "أَي: كَامِلٌ فِي الرُّجُولِيَّةِ"⁽²⁾؛ تَزَكِيَّةٌ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، إِذْ إِنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ تَدُلُّ ضَمْنًا عَلَى مَجْمُوعَةِ صِفَاتٍ مِنَ النُّبْلِ وَالشَّرَفِ وَعِلْوِ الْمَكَانَةِ الَّتِي تَمْنَعُ صَاحِبَهَا مِنَ الْإِفْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى "أَنْ كُونَ الْمَذْكُورَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَقْرَبُ إِلَى التَّعَقُّلِ مِنْ كُونَ مَذْكُرَهُمْ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ مِنْ مَلِكٍ أَوْ جَنِيِّ"⁽³⁾. وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ الرِّجَالَ يَتَلَقَّوْنَ عَنِ الرِّجَالِ دُونَ غَضَاضَةٍ، فَمِنْ اتَّصَفَ بِصِفَاتِ الرُّجُولَةِ؛ تَلَقَّى الذِّكْرَ دُونَ حَرْجٍ أَوْ تَمْلِيلٍ، فَهُوَ إِيْمَاءٌ تَعْرِيزِيٌّ بِهِمْ.

فَائِدَةُ قَيْدِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّنْكُمْ﴾:

إِقَامَةُ الْحُجَّةِ
عَلَى مَنْ عَلِمَ
الْحَالَ، وَتَعَجَّبَ

وَصَفَ الرَّجُلَ الْمَذْكُورَ لَهُمْ بِأَنَّهُ مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ﴾ إِبْطَالًا لِّشَبْهَتِهِمْ، فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ، وَتَعْرِفُونَ نَسَبَهُ، فَهُوَ مِنْكُمْ نَسَبًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كَوْنَهُ مِنْهُمْ يَزِيلُ التَّعَجُّبَ؛ لِأَنَّ الْمَرْءَ بِمَنْ هُوَ مِنْ جِنْسِهِ أَعْرَفُ، وَبِطَهَارَةِ أَحْوَالِهِ أَعْلَمُ، وَبِمَا يَقْتَضِي السُّكُونُ إِلَيْهِ أَبْصَرَ"⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ اللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُنْذِرْكُمْ﴾:

الْإِنْذَارُ عِلَّةٌ
لِّمَجِيءِ الذِّكْرِ
إِلَيْهِمْ

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرْكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ عَبَّرَ بِلَامِ (كِي) لِلدَّلَالَةِ عَلَى عِلَّةِ الْمَجِيءِ، "أَي: لِيَحْذَرَكُمْ الْعَذَابَ وَالْعِقَابَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي"⁽⁵⁾، وَذَكَرَ عِلَّةَ مَجِيئِهِ بَعْدَ تَزَكِيَّتِهِ بِكَوْنِهِ رَجُلًا

(1) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الدَّرُ الْمَصُون: 357/5.

(2) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّر: 430/7.

(3) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير: 196/8.

(4) الْفَخْرُ الزَّازَنِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 298/14، وَيَنْظُر: أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 236/3.

(5) الْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَلَانِي: 391/4، وَأَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 236/3.

تأكيد على إبطال شبهتهم؛ فإن غاية هذا الرجل إنما هي فائدتكم بتحذيركم من سوء المصير وإرشادكم لما فيه خيركم.

نكتة استعمال فعل ﴿لِيُنذِرْكُمْ﴾ دون مرادفاته:

استعمل الإنذار في قوله تعالى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ دون التحذير؛ لأنه ألصق بشفقة الأنبياء بقومهم من التحذير؛ لأن التحذير يصدر عن علو المحذر فيكون أبعد من تقبل الناس له؛ لخلوه من الشفقة والرفق، ولما كانت دعوة الأنبياء لعامة الناس، فإنهم يخاطبونهم بلين وشفقة، فكان الإنذار أصرح في إظهار الشفقة من التحذير.

الإنذار دالٌّ
على الشفقة
والحرص
والنصح

براعة ترتيب أسباب عجب قوم نوح ﷺ:

في قوله تعالى: ﴿أَوْعَيْبُكُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ عدد أسباب العجب، وأوقعها كلها ضمن حيز الاستفهام الإنكاري لدحض كل هذه الأسباب؛ إذ إنها ليست مما يتعجب منه، بل إنها من النعم والخير الذي جاءهم، وفي تعداد ذلك مبالغة في إظهار جهلهم وتعنتهم، وقد جاءت هذه الأسباب مترتبة فـ "المجيء وهو الإعلام بالخوف، والتحذير من سوء عاقبة الكفر، ووجود التقوى منهم، ورجاء الرحمة، وكأنها علّة مترتبة، فجاءكم الذكر للإنذار بالخوف، والإنذار بالخوف لأجل وجود التقوى منهم، ووجود التقوى لرجاء الرحمة وحصولها، فعّل المجيء بجميع هذه العلل المترتبة؛ لأن المترتب على السبب سبب" (1).

الذكر أصل
الإنذار، والإنذار
باعث التقوى،
ومناط الرحمة

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾:

عطف قوله تعالى: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ على قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ لكونهما علتين، فعطف العلّة الثانية، وهي الأمر بالتقوى على العلّة

التقوى علّة
مترتبة على
الإنذار، وهي
غاية ترتبط بها
كل عمل

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/84.

الأولى؛ لأنها مترتبة عليها⁽¹⁾، والمعنى: أنه جاء إليكم ليحذركم الكفر، فيرشدكم بذلك إلى التقوى.

عَرَضُ تَكَرُّارِ اللَّامِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَتَتَّقُوا﴾:

الإنذار والتقوى
نُزِّلَتْ مَنَزِلَةً
الْعَلَّتَيْنِ
الْمُسْتَقْلَتَيْنِ

معنى قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾: "ليحذركم عاقبة الكفر، وليوجد منكم التقوى، وهي الخشية بسبب الإنذار"⁽²⁾، ووقع تكرار للام؛ للدلالة على أن كل واحد من المذكورين منزل منزلة العلة المستقلة بذاتها لمجيء الذكر، وفي ذلك بيان لأهميتها.

بَلَاغَةُ ذِكْرِ التَّقْوَى إِثْرَ الْإِنْذَارِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾:

التقوى المتأنيّة
عن الإنذار
مطلوبة، وقد
أَعْدَرَ مَنْ أُنْذِرَ

رَتَبَ النَّظْمُ عَلَى مَجِيءِ الذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ على وفق "حصول مضمونها في الوجود؛ فَإِنَّ الْإِنْذَارَ مَقْدَمٌ؛ لَأَنَّهُ حَمَلَ عَلَى الْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِّنَ الشَّرِكِ أَوْ الْوَثْنِيَّةِ، ثُمَّ يَحْصُلُ بَعْدَهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ"⁽³⁾؛ فَإِنَّ التَّخْلِيَةَ سَابِقَةٌ لِلتَّحْلِيَةِ، وَلَا تَكُونُ التَّقْوَى عَلَى حَقِيقَتِهَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَمْ يُنْذَرْ.

سِرُّ التَّصْرِيحِ بِالْإِنْذَارِ، وَالْإِشَارَةِ بِالتَّبَشِيرِ فِي الْآيَةِ:

تكفي الإشارة في
التبشير، ما لا
تفيه في الإنذار

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ ذكر الإنذار الدال على التخويف دون التبشير؛ وذلك "لأن تأثير الإنذار في الفعل والترك أقوى من تأثير البشارة، ولأن اشتغال الإنسان بدفع الضرر أشد من اشتغاله بجلب المنفعة"⁽⁴⁾، وذلك يناسب قصة نوح لما لاقى من آلام من قومه، وما لاقى من شدة تعنتهم، فكان الإنذار في دعوته أبلغ، ولوقوع الإشارة إلى التبشير في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾؛ فاجتمع الركنان الإنذار والتبشير بما يُحَقِّقُ المقصود.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/115.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/196.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/286.

دلالة ذِكْرِ (الواو)، في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

عطفَ قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾؛ لأنها علةٌ ثالثةٌ معطوفةٌ "على العلة الثانية، مترتبةٌ عليها، أي: ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم"⁽¹⁾، فالرحمة علةٌ مترتبةٌ على علةٍ قبلها، وهي التقوى، وقد يُذكر رجاءُ التقوى بلا عطفٍ حين يكون نتيجةً لعملٍ سابقٍ، فتكون حصاً على العمل، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَفْقَوْمَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]، فإن الرحمة هنا مرجوةٌ بعد الاستغفار، وليست مسبقةً بعللٍ تترتب عليها.

ذِكْرُ الواوِ في
الرجاءِ، وحذفُها
حين يكون
الرجاءُ نتيجةً
لعملٍ سابقٍ

دلالة استعمال أداة الترجي (لعل) بدلاً من (عسى):

في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جاء التعبير بحرفِ الترجي (لعل)؛ لدلالته على رجاءٍ وقوع المرجو لا على سبيلِ الحتمِ والوجوبِ، فالمعنى: "وليكونَ حالكم - إذا لقيتم الله - حالَ من تُرجى رحمته"⁽²⁾، أمّا (عسى)؛ فهي من الله تعالى متحققةٌ، "وقول المفسرين: عسى من الله واجبةٌ، أي: الكريم إذا رُجي؛ حقٌّ"⁽³⁾.

الرجاءُ مُحاطٌ
بالخشيةِ،
وموصولٌ
بالقبولِ
والرحمةِ

فائدة بناء الفعل ﴿تُرْحَمُونَ﴾ للمفعول:

في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جاء الفعل مبنياً للمفعول، فلم يقل: (لعل الله يرحمكم)، وذلك له غايتان: الأولى: الإيجازُ في التعبير بحذفِ الفاعل اعتماداً على العلم به. والثانية: الاهتمامُ بالرحمة لذاتها لا بكونها من معينٍ، فالرحمة مطلوبةٌ لذاتها، فإن المخاطبين هم أحوجُّ ما يكونون إليه هو رحمةُ الله بهم، بما اقترفتهُ أيديهم في سالفِ الأيام.

توجيهُ المخاطبين
إلى أنَّ الرحمةَ
عزيزةُ الجانبِ،
والحرصُ عليها
عزيرُ الجَنابِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/236.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/430 - 431.

(3) الراغب، تفسير الراغب: 3/1358.

❁ الفروقُ المُعْجِيةُ:

(العجبُ) و(البهتُ):

التَّعْجُبُ: حالةٌ أعمُّ من البُهْتِ؛ حيثُ إِنَّ البَهْتَ أصلٌ يدلُّ على الدَّهْشِ والحَيْرَةِ، البُهْتَةُ: الحَيْرَةُ، قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: 258]، أي: دُهِشَ، وتَحَيَّرَ، وانقطعت حجَّتُهُ⁽¹⁾، فهو حالة التَّوَقُّفِ تمنع المرءَ من إبداء الرَّدِّ والجوابِ، أمَّا التَّعْجُبُ؛ فلا يتعلَّقُ بذلك؛ فالأمرُ العَجِيبُ: هو ما يُسْتَكْبَرُ وَيُسْتَعْظَمُ، والتَّعْجُبُ: حالةٌ تعرضُ للإنسانَ عند الجهلِ بسبب الشَّيْءِ، وهو إنكارٌ ما يَرِدُ لِقَلَّةِ اعْتِيادِهِ؛ ولهذا قال بعضُ الحكماء: العَجَبُ ما لا يُعرفُ سببُهُ⁽²⁾.

فالبهتةُ تدلُّ على التَّحَيُّرِ وانقطاع الحُجَّةِ، أمَّا التَّعْجُبُ؛ فهو حالةٌ من الاندهاش تردُّ لورود ما لم يعتدَّه المتعجِّبُ، وليست في سياق الاحتجاجِ وانقطاع الحُجَّةِ، وفي الآية الكريمة قال: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ عبَّرَ بالعجبِ؛ لأنَّهم لم يكونوا قد اعتادوا شأنَ الرِّسالاتِ، وكانوا جاهلين بها، وهذا أنسبُ في التعبيرِ عنه بالتَّعْجُبِ، دون البهتِ الَّذي هو أبلغُ في سياق الاحتجاجِ.

(الإنذارُ) و(الترهيبُ) و(التَّخْوِيفُ):

الإنذارُ: لا يكونُ إلَّا في التَّخْوِيفِ، فهو: إخبارٌ فيه تخويفٌ، كما أنَّ التَّبَشِيرَ إخبارٌ فيه سرورٌ⁽³⁾، فهو "تخويفٌ مع إعلامٍ موضعِ المخافةِ من قولك: نذرتُ بالشَّيْءِ؛ إذا علمتُهُ، فاستعددتُ له، فإذا خَوَّفَ الإنسانُ غيره، وأعلمه حالَ ما يخوِّفه به؛ فقد أُنْذَرَهُ، وإن لم يُعَلِّمْه ذلك؛ لم يقل: أُنْذَرَهُ، والإنذارُ: إحسانٌ من المنذرِ، وكلُّما كانت

سَبَبُ الْعَجَبِ
جَهْلٌ شَنِيعٌ،
وَسَبَبُ الْبَهْتِ
تَحَيُّرٌ مُرِيعٌ

الْإِنْذَارُ تَخْوِيفٌ
مَعَ إِعْلَامٍ،
بِخِلَافِ التَّرْهِيْبِ
وَالْتَّخْوِيفِ فَهْمَا
غَيْرُ مُقْتَرِنَيْنِ بِهِ

(1) ابن فارس، مجمل اللغة، والسَّمين الحلي، عمدة الحَقَاق: (بهت).

(2) الجوهري، الصَّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، للفردات، وابن منظور، اللسان: (عجب).

(3) الجوهري، الصَّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، للفردات: (نذر).

المخافةُ أشدُّ؛ كانتِ النُّعمةُ بالإنذارِ أعظمَ، ولهذا كان النَّبِيُّ أعظمَ النَّاسِ منه بإنذارِهِ لهم عقابَ اللَّهِ تعالى⁽¹⁾.

أما التَّرهيبُ والتَّخويفُ؛ فهو مطلقُ الفعلِ من غيرِ إعلامٍ، كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 60]، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 36]، أما الإنذارُ: تخويفٌ مع الإعلامِ بما يخوِّفهم به؛ فهو إنعامٌ وإحسانٌ لمن يُنذَرُ، فيكونُ قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ بياناً لغرضِ الرِّسالةِ، وهو بيانُ حالِ ما ينتظرهم إن استمروا على كفرهم إحساناً لهم وإنعاماً عليهم، والإنعامُ والإحسانُ لا يتوافق مع التَّرهيبِ والتَّخويفِ.

(1) العسكري، الفروق، ص: 242.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 13، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-9948-768-09-978

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 13: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 8-9948-768-09-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»